تكامل المناهج الكيفية والكمية في البحث السوسيولوجي

د.هبة ياسف

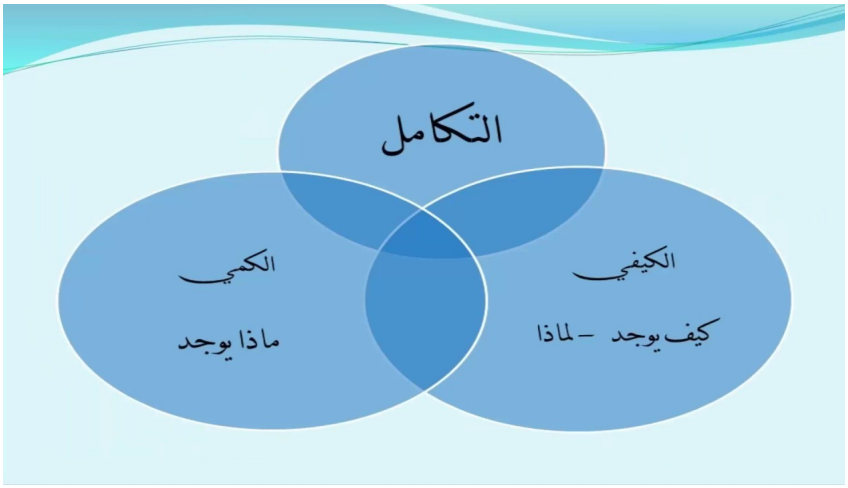

نوفمبر 2022

قائمة المحتويات

وحدة 5

مقدمة 7

I-أأأولا مفهوم المنهج 9

معاني قريبة لمفهوم المنهج :.....9

أهمية المنهج في البحث السوسيولوجي :.....9

كيف نبحث معرفيا ومنهجيا.....10

الفرق بين المنهج الإستقرائي والمنهج الاستنباطي.....11

II-المنهج الكمي 13

III-المنهج الكيفي 15

IV-المناهج المختلطة 17

V-مستويات التساؤل و المعرفة السوسيولوجية 19

وحدة

في نهاية هذه المحاضرة يصبح الطالب(ة) قادرا (ة) على:
- التمييز بين المعاني المختلفة لكلمة منهج.
- التمييز بين المناهج الكمية، والكيفية.
- إدراك أهمية تكامل المناهج الكيفية والكيفية في البحث السوسيولوجي.
- فهم معنى التفسير الاستقرائي والاستنباطي في البحوث السوسيولوجية.

مقدمة

يقول**Festinger**" و"**Katz**" "مهما كان موضوع البحث فإن قيمة النتائج تتوقف على قيمة المناهج المستخدمة"، والبحث السوسيولوجي على غرار العلوم الأخرى يحتاج إلى مناهج بحث من أجل الوصول إلى تقديم نتائج علمية، والمنهج في علم الاجتماع ينقسم إلى منهج كيفي، ومنهج كمي، ومن خلال هذه المحاضرة سنتدرج في فهم معنى المنهج، وأهمية المناهج الكمية، والكيفية معا/ أي المختلطة في فعل البحث السوسيولوجي عبر معرفة أنها تقترن بهذا الفعل منذ بدايته حتى نهايته، مدركين للفرق بين هذه المناهج، وطريقة تطبيقها، إضافة إلى معنى الإنتقال عبر التفسير الاستقرائي، أو الاستنباطي الذي ظهر في التحليلات النظرية السوسيولوجية من أجل ذلك سوف تتضمن المحاضرات الفرق بين المنهج الإستقرائي والاستنباطي، ومعنى التفسير في كلا المنهجين، ومستويات التحليل في دراسة الظواهر الاجتماعية.

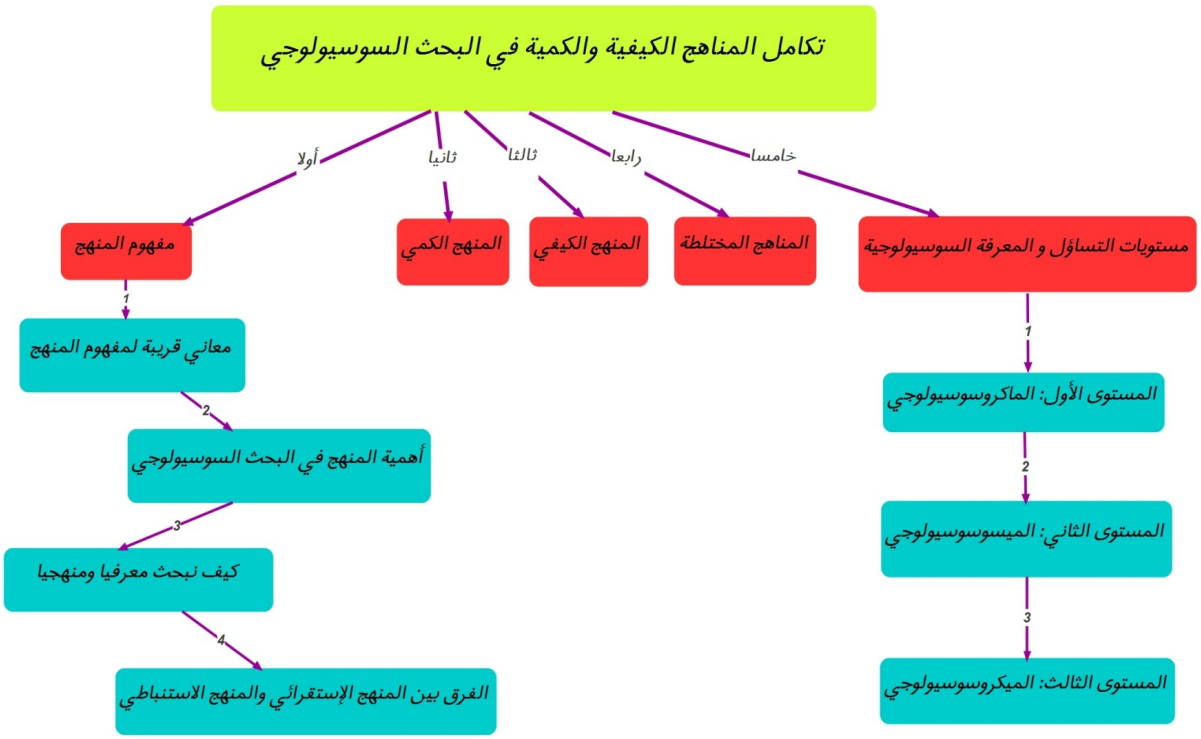

الشكل رقم (01): *خريطة ذهنية لمحتوى المقياس*

مفهوم المنهج

المنهج هو المسلك الذي يسلكه الباحث في فعل البحث السوسيولوجي، عندما نقول أنه مسلك الباحث يعني أن كل باحث يتميز بمسلكه الخاص الذي من خلاله لا يفصل المعرفة السوسيولوجية والمنهجية عن كل مرحلة من مراحل طريقه، ولا يحيد عن تصوره.

فالمنهج ينبع من الموقف، والتصور الفلسفي للباحث، حيث يعبر عن طريقة تصور، تخطيط، وتنظيم فعل البحث حول موضوع البحث.

ومنهج البحث السوسيولوجي يعتبر عملية فكرية يحددها موضوع البحث، وأهدافه، وليس للبحوث الاجتماعية منهج علمي واحد، حيث يمكن للدراسة الواحدة أن تحتاج إلى أكثر من منهج لدراسة الظاهرة الاجتماعية، وذلك يتوقف على طبيعة تلك الظاهرة، وأهدافها وتساؤلاتها.

معاني قريبة لمفهوم المنهج :

يمكن أن تتقاطع بعض المصطلحات العلمية المستعملة في الممارسة السوسيولوجية مع مصطلح المنهج لذلك يجب أن نتناول معنى مصطلحين أساسين هما: المقاربة، والنموذج النظري باعتبار أن الباحث أيضا يتبناهما منذ بداية بحثه حتى نهايته.

المقاربة **Approche** من خلالها يقارب الباحث الظاهرة بالاعتماد على: نسقها المفاهيمي الذي يندرج ضمن المدخل المنهجي، غير أن أعتماد الباحث على مقاربة ما لا يعني بالضرورة اتباعه حرفيا لخلفياتها الإيديولوجية مادام يسعى لتحصيل الرأسمال العلمي الصافي.

النموذج النظري **Paradigme** هو مجموعة من القناعات النابعة من: التصورات، والممارسات التي ترسخت في طرق عمل مشتركة بين مجموعة من الباحثين في مدة زمنية معينة.

أهمية المنهج في البحث السوسيولوجي :

يساعد المنهج الباحث السوسيولوجي على التفتيش من أجل البحث

والبحث السوسيولوجي يبنى على فعل البحث، هذا الأخير الذي يجعلنا نبحث ثم نبحث مرة ثانية أو من جديد على نحو أفضل، وأعمق من أجل تقديم نتائج دقيقة، وكل مناهج البحث المعتمدة في البحث السوسيولوجي مقبولة متى كانت منهجية أي موضوعية، منظمة منسقة، مستقلة عن إرادة الباحث، ورغباته تمكن الباحث السوسيولوجي من التحقق من فرضياته، والوصول إلى نتائج علمية تأكد صدق فرضياته أو نفيها لا فرق لأن علمية النتائج شيء ومصداقيتها شيء أخر.

كيف نبحث معرفيا ومنهجيا

البحث السوسيولوجي يبنى على فعل البحث الذي يتوجه نحو التنقيب على المعارف، والمعلومات من أجل أن يكون علميا، ويجب أن يبنى معرفيا، ومنهجيا حتى يكون منتظما من بدايته لنهايته، ولأن البحث السوسيولوجي هو بحث نظري، وتطبيقي يتم تنظيم طريقة بحثه معرفيا، ومنهجيا عن طريق مناهج البحث الكيفية، والكمية.

عبر الممارسة العلمية في الأبحاث السوسيولوجية التي ظهر مع ميلاد علم الاجتماع، وسيادة الأفكار التي اعتبرت المناهج الكمية أكثر دقة، استعانت بعض التخصصات الإنسانية، والاجتماعية على المنهج الكمي في دراسة الظواهر، رغم ذلك لا يمكن إخضاع ظواهرها دائما للتكميم فهي ملزمة بمنهجها الكيفي الذي يستعين بمحاولة التفسير والفهم، عبر دقة، ومرونة الملاحظة، وفهم التجارب التي يعيشها الأفراد المشكلين للظاهرة المدروسة. ومهما استعانت الدراسات الإنسانية والاجتماعية بالقياسات الكمية ستبقى محتفظة ببعدها الكيفي، فمثلا: إذا درسنا درجة الرضا عن العمل فإن المصطلحات، والمفاهيم المستعملة هي من طبيعة كيفية ليبقى الحساب مجرد تكميم فقط.

في الحقيقة إن أهداف البحث، والموارد المتوفرة هي التي تحدد إما التكميم أو الكيف، ورغم ذلك يعتبر المنهجين مكسبين للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وقبل أن نفرق بين المناهج الكمية، والكيفية وندرك أن علم الاجتماع بحثه كيفي، وفي اعتماده على المنهج الكمي تعتبر إضافة لإثرائه، ومنه أصبح يتم اعتماد المنهجين معا فيما يسمى بالمناهج المختلطة، يجب أن ندرك الحقائق التالية:

- في التفسير الاستقرائي يتم الإنتقال من الجزء إلى الكل، أما في التفسير الاستنباطي يتم الإنتقال من الكل إلى الجزء أو من الكل إلى الكل. (هنا يجب توضيح الفرق بين المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي حتى نحدد معنى التفسير في كلا المنهجين في الدراسات السوسيولوجية -أنظر العنصر الموالي)
- كلا العلوم المادة أو الإنسانية والاجتماعية ملزمة أن تبدأ من مادة أو

موضوع يمكن ملاحظته مباشرة أو بواسطة أداة يمكن قياسه بشكل دقيق في العلوم المادة، وعلى نحو موضوعي شبه دقيق في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

- التطور المنهجي الجديد الذي تطور مع النصف الثاني من ق 20 ابتعد عن التجريب، والاختبار كمسلمة بل بدأ يعتمد على الفرضيات، ومنها يعود إلى الوقائع ليختبر صدق أو نفي الفرضيات.

- أصبحت المادة تختبر على أساس براغماتي، وليس تجريبي فالبراغماتية تعني استخدام كل ما يؤدي الغرض دون اعتبارات.

- لا تناقض بين المناهج وتحديدا المنهج الكمي، والكيفي فهي تكمل بعضها.

- دخول العامل الأخلاقي كمكون إضافي، لا يجب التضحية بالأخلاق أثناء البحث عن المعرفة، وإنتاج المعرفة من أجل تحصيل المعرفة الصافية أو الرأسمال الصافي.

إذا كيف نبحث معرفيا ومنهجيا؟ عن طريق المنهج لأنه الذي يوجه الباحث نحو الاتجاه الصحيح منذ بداية البحث السوسيولوجي حتى نهايته حيث يتبنى الباحث المنهج الكمي أو الكيفي أو المختلط منذ بداية البحث حتى نهايته، أما كامل الطريق فهو على السالك أي الباحث السوسيولوجي، وما يمتلكه من ذكاء، خبرات، ومعارف سابقة.

الفرق بين المنهج الإستقرائي والمنهج الاستنباطي

الجدول رقم (01): يبين الفرق بين المنهج الإستقرائي والمنهج الاستنباطي

المنهج الإستقرائي	المنهج الاستنباطي
هو عملية الإنتقال من الظواهر الطبيعية الواقعية إلى القوانين الطبيعية	هو عملية الإنتقال من مقدمات، مسلمات نهائية إلى نتائج خاصة
التفسير من الخاص إلى العام	التفسير من العام إلى الخاص أو من العام إلى العام
يركز عمله على الملاحظة	يركز على المفاهيم، التعريفات، البديهيات، والأمور العامة
خطواته ثلاثة هي: الملاحظة، الفرضيات، التجارب	خطواته أربعة هي: المقدمة (المدخل): تذكر المسلمات والبديهيات العرض: تقديم الأفكار، والمعلومات وتجزئتها إلى

	أفكار فرعية، ثم الوصول من خلالها إلى القاعدة الرئيسية الاستنباط: يستنبط أو يستدل على النتائج النهائية من القاعدة العامة التي انطلق منها. التطبيق والمراجعة: التطبيق العملي لنتائج إذا كانت فعالة ومجربة بالفعل أم لا، وهي أهم مرحلة

المنهج الكمي

يقوم المنهج الكمي على التكميم، ويعتمد على البيانات الإحصائية ويهدف إلى قياس الظاهرة موضوع البحث السوسيولوجي عن طريق استعمال القياسات التي يوفرها علم الإحصاء، ما يميز هذا المنهج أن الباحث يضع مسافة بينه، وبين الموضوع المدروس.

البحث السوسيولوجي الذي يعتمد على المنهج الكمي يجب أن يقوم بتقديم تفسير، أو فهم للظواهر المدروسة من خلال جمع البيانات وتحليلها بواسطة علم الإحصاء، والبحث عن الأسباب، والعلاقات بين المتغيرات حتى يمكنه تفسير ، وفهم العلاقة بين السبب، والنتيجة.

عند اعتماد الباحث السوسيولوجي على منهج البحث الكمي يعني أنه يفترض وجود حقائق اجتماعية موضوعية منعزلة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد، ويعتمد في بحثه على الأساليب الإحصائية لأنه يهدف إلى قياس الظاهرة بجمع البيانات من خلال استعمال أدوات قياس كمية، ومعالجة البيانات بأساليب إحصائية. في هذا الصدد يرى "**ريمون بودون**" أن البحوث السوسيولوجية التي تنطلق من السؤال لماذا؟ هي بحوث كمية، مثلا: في دراسة سوسيولوجية في التنظيم والعمل نحاول دراسة موضوع الغيابات أو حوادث العمل، ونختار المنهج الكمي، وبالتالي نتوجه لمعرفة نسبة الغيابات في المصنع، أو نسبة حوادث العمل، ونطرح على سبيل الافتراض السؤال الرئيسي التالي: لماذا تزيد نسبة الغيابات في المصنع؟ لماذا تزيد نسبة حوادث العمل في المصنع؟

المنهج الكيفي

يقوم المنهج الكيفي في الأساس على فهم الظاهرة موضوع البحث لـذلك يـذهب إلـى حصـر معنـى الأقـوال، والأفعـال الـتي تمـت ملاحظتهـا لذلك يلجأ الباحث إلى دراسة عدد قليل من الأفراد.

البحث السوسيولوجي الذي يعتمد على المنهج الكيفي يجب أن يقوم بتقديم تفسير، أو فهم للظواهر المدروسة، وتأويلها، وهذا ما يسميه **"غاستون باشلار"** التحليل النفسي للمعرفة، أي أن الباحث بعد أن يقوم بوضع الفهم حول الظاهر المدروسة أي يقدم المعرفة الضرورية حولها يقوم بتأويلها من خلال عملية التحليل الداخلي للمعرفة.

عند اعتماد الباحث السوسيولوجي على منهج البحث الكيفي يعني أنه يفترض وجود حقائق يتم بناؤها من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات المشتركة في البحث، لأنه يهدف إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسـة بحصـر معـاني الأقـوال الـتي يتـم جمعهـا أو الأفعـال الـتي تتـم ملاحظتها عندما يقوم بها الفاعل أو يعبر بها أو يفكر فيها. في هذا الصدد يرى **"ريمون بودون"** أن البحوث السوسيولوجية التي تنطلق من السـؤال كيـف؟ هـي بحـوث كيفيـة، مثلا: فـي دراسـة سوسـيولوجية فـي التنظيم والعمل نحاول دراسة موضوع الغيابات والكفاية الإنتاجية أو حوادث العمل والفعالية الإنتاجية، ونختار المنهج الكيفي، ونتوجه لمعرفة تأثير الغيابات على الكفاية الإنتاجية، أو تأثير حوادث العمل على الفعالية الإنتاجية، ونطرح على سبيل الافتراض السؤال الرئيسي التالي: كيف تأثر الغيابات على الكفاية الإنتاجية؟ كيف تأثر حوادث العمل على الفعالية الإنتاجية؟

المناهج المختلطة

بالإضافة إلى المنهج الكمي والكيفي يوجد نوع ثالث مستحدث هو المناهج المختلطة، وهي تلك المناهج التي تشير في مفهومها إلى عملية المزج، والجمع بين المناهج الكمية، والكيفية في دراسة واحدة بحيث تصبح غير منفصلة كما تظهر لأول وهلة.

مع نهاية القرن الماضي بدأ العمل بالمناهج المختلطة، والتي هي عبارة عن محاولة لوضع تقارب منهجي بين أساليب التحليل النوعية والكمية انطلاقا من فكرة التكامل بين الأنواع المختلفة من المناهج. ليتم الإشارة إلى أن المنهج المختلط هو ذلك المنهج الذي يتم من خلاله الدمج ما بين البحث الكمي، والبحث الكيفي في بحث واحد، إذ يتم جمع، تحليل، وتفسير البيانات لكلا النوعين في دراسة واحدة، ويكمن الهدف من هذا الدمج هو الرغبة في الحصول على صورة شاملة للمشاكل المراد دراستها، وعرضها بطريقة واضحة.

مثلا في دراسة سوسيولوجية تعتمد على الملاحظة، والمقابلة لجمع المعلومات، فيمكن اعتبار المقابلات، والملاحظات تقنيات نوعية لارتباطها أكثر بالنماذج التفسيرية، والنقدية، على الرغم من أن تنظيم المقابلات، وتحليلها كثيرا ما يتم بطريقة كمية، حيث يتم جمع البيانات والمعطيات، ثم تصنيف الإجابات، وترميزها في شكل رقمي، ليأتي دور التحليل الكيفي، وعليه يقترن عمل المنهج المختلط على مناهج بحث ميدانية كيفية، وكمية بأسلوبي التحليل الكيفي، والكمي -هذان الأسلوبان اللذان سوف يتم التفصيل فيما في دروس السداسي الثاني-

مستويات التساؤل و المعرفة السوسيولوجية

من أجل أن يصل الباحث السوسيولوجي لإنتاج المعرفة السوسيولوجية عبر دراسته لظواهر المجتمع يجب أن يحدد لنفسه مستويات التساؤل، هذه الأخيرة التي تحدد للباحث طبيعة المعرفة السوسيولوجية التي يجب أن يصل إليها، كما يجب عليه أن يدرك أن المعرفة السوسيولوجية ليست هي "المعرفة السوسيوغرافية" التي تكتفي بتصوير الحياة الاجتماعية في شكلها الخارجي فقط.

اهتمام علم الاجتماع بدراسة ظواهر المجتمع يمكن أن يتم على ثلاثة مستويات حددها "**جورج غورفيتش**"، وهي:

أ- **المستوى الأول: الماكروسوسيولوجي** يمثل أكبر وحدة في التحليل السوسيولوجي يتشكل من الدولة، الحضارة، والأمة.

ب- **المستوى الثاني: الميسوسوسيولوجي** يتواجد بين المستوى الأول والثالث، ويتشكل من مختلف الجماعات التي تكون المجتمع مثل: العائلة، أو الطبقة أو الحزب، أو المؤسسة، ويطلق عليه "**روبرت ميرتو**ن" المستوى المتوسط المدى.

ج- **المستوى الثالث: الميكروسوسيولوجي** هو الذي يرتبط بالعلاقات والروابط التي تنشأ بين مختلف أفراد المجتمع في حياتهم اليومية.

أما "**ريمون بودون**" فقد اتفق على وجود مجالات للبحث في علم الاجتماع تنقسم إلى ثلاث مستويات هي:

- مستوى المجتمع ككل.

مستوى القطاعات الاجتماعية: يهتم بأفعال الأفراد في مستوى معين من جوانب الحياة مثلا: الحياة السياسية، الاقتصادية.

مستوى الوحدات الاجتماعية مثل المؤسسة، العائلة.